الموضوع الرابع
مع الإيمـان واليقين

obeikandl.com

## الموضوع الرابع

# مع الإيمان واليقين

الإيمان في حاجة إلى يقين، وفي حاجة إلى ارتفاع وزيادة، والناس يتفاوتون في هذا الإيمان على قدر حبهم لله ﷻ، وعلى قدر حبهم للقرآن الكريم، وعلى قدر إقبالهم على كلام الله، وعلى قدر حفظهم له، والعمل به، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أي: اليوم أكملت لكم دينكم دين الإسلام بتحقيق النصر، وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام دينًا فالزموه، ولا تفارقوه.

فالدين هنا في حالة كمال، والإيمان هو الآخر يسعى إلى أن يتكامل، قال الحبيب ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا»[1]. فالإيمان ليس فقط أن أصلي أو أن أصوم أو أن أزكي، ولكن الإيمان مع كل هذا حُسن الخلق، كما أخبر الحبيب ﷺ: «**الإيمان والبر هو حسن الخلق**»[2].

والإيمان لكي يكتمل فإنه في حاجة إلى مَن يكمله، أي: لو معي كوب وبه ماء، وأريد أن أكمل هذا الكوب فأكون في حاجة إلى ماء آخر؛ لكي أضيفه لكي يمتلئ الكوب، فالإيمان الكامل لكي يكتمل فإنه في حاجة إلى تدعيم، والتدعيم أي تحسين الإيمان، والإنسان دائمًا لا بد وأن يتعلم من أهل العلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٧٠٩٥.

(٢) أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، رقم ٤٦٣٢.

أي: واسلك أيها الابن المؤمن طريق مَن تاب من ذنبه، ورجع إليَّ وآمن برسولي محمد ﷺ، ثم إليَّ مرجعكم فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كلَّ عامل بعمله.

فالإيمان في حاجة إلى تدعيم وتحسين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩].
أي: الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، أي: علا وارتفع، استواءً يليق بجلاله هو الرحمن، فاسأل أيها النبي به خبيرًا، يعني: بذلك سبحانه نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم صفاته وعظمته وجلاله، ولا أحد من البشر أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ.

وقيل: إن أصل الكلام هنا: اسأل عنه خبيرًا، أي: عالمًا فاهمًا محيطًا بأسرار الأسماء والصفات؛ لأن الله لا يسأل عن ذاته ولا عن أسمائه ولا عن صفاته.. وإنما الذين يبلغون عن الله بصدق وروية وعلم وإحاطة هم الذين جعلهم الله تعالى سبيلاً إلى هداية للعباد، كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ولكون الإيمان يحتاج إلى تدعيم وتحسين ومتابعة فالصغير أو الكبير عندما يمسك مصحفًا لا يستطع أن يتعلم بمفرده، فلا بد وأن يتعلم على يد شيخ يعلمه القرآن وعلومه، وهكذا فإن رسول الله ﷺ هو الذي غذى هذه الأمة كلها بنور الإيمان، فالتلقيح لا بد أن يحدث؛ لأنه إذا لم يحدث تلقيح للإيمان لن يزيد هذا الإيمان، فرسول الله ﷺ يقول: «**جددوا إيمانكم**»[1].

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٨٣٥٣.

أي: وأرسلنا الرياح وسخرناها تُلَقِّح السحاب، وتحمل المطر والخير والنفع، فأنزلنا من السحاب ماء أعددناه لشرابكم وأرضكم وأنعامكم، وما أنتم بقادرين على خزنه وادِّخاره، ولكن نخزنه لكم رحمة بكم، وإحسانًا إليكم، وهذا هو العطاء الرباني لهذه الحياة، وأن الحياة لا يمكن أن تستمر إلا بقدرة الله ﷻ وعطائه.

وكما في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١]. أي: إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالتا السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده، إن الله كان حليمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

لأجل هذا فالإيمان في حاجة إلى تلقيح وتحسين، والإنسان لا بد أن يراجع نفسه، وعندما يراجع نفسه يتأمل حالته الإيمانية، وكيف أنه في حاجة إلى أن يزيد الإيمان، لكن كيف يزيد الإيمان؟

إن الله تعالى يسألنا يوم القيامة يقول: «يا فلان، مرضت فلم تَعُدْنِي»! فالإنسان يتعجب: كيف أعودك وأزورك وأنت رب العالمين؟! فيقول الله تعالى لك: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرِض فلم تزره ـ فلماذا لم تزره؟ ـ أما علمت أنك إذا زرته وجدتني عنده»[1].

فرسول الله ﷺ علمنا أنه إذا زرنا مريضًا نطلب من المريض أن يدعو لنا؛ لأن دعوة المريض مستجابة، سبحانك يا الله! فإنك عندما تزور المريض فإنك تخطو في غرف الجنة، وفي منازل الجنة، وفي روضة من رياض الجنة، مع الحبيب ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وفي الحديث السابق يقول تعالى: «استطعمتك فلم تطعمني»[2]. أي: أن الله سبحانه وتعالى يُطعِم (بضم الياء وكسر العين) ولا يُطعَم (بضم الياء وفتح العين)،

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٤٦٦١.
(٢) السابق.

يارب كيف أُطعِمُك؟ (بضم الألف وكسر العين) وأنت رب العالمين؟! هل أنت في حاجة يا رب إلى طعامي؟ فقال الله تعالى لك: «استطعمك فلان فلم تطعمه»[1]. يقول أحدهم لك: أنا جوعان، وساعدني لأجل الله تعالى، «ألا تعلم أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»، سبحانك يا الله!

هكذا يستمد العطاء الإلهي، فالله تعالى يقول عن الحبيب ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ لأنهم في معيته فإنهم يلقحون بهديه، فإذا ما نظروا إليه فإن إيمانهم يزيد.

فالله سبحانه وتعالى استخلفك في هذه الأرض عاملاً، فإذا ما صح عملك وعملي فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]. أي: وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله، وأورثَنا أرض الجنة نَنْزِل منها في أيِّ مكان شئنا، فنِعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

فالله سبحانه وتعالى يعاملُ الناس بفيضِ رحمته، ولا يعاملهم بعدله، فلو عامل الناس بعدله لهلكوا، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ الـم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[2] وهذا من فضل الله وكرمه.

لأجل هذا يقول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) السابق.

(٢) أخرجه الترمذي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم ٢٨٣٥.

أي: محمد رسول الله، والذين معه على دينه أشداء على الكفار، رحماء فيما بينهم، تراهم ركعًا سُجَّدًا لله في صلاتهم، يرجون ربهم أن يتفضل عليهم، فيدخلهم الجنة، ويرضى عنهم، علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة، هذه صفتهم في التوراة، وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلاً منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار.

وفي هذا دليل على كُفرِ من أبغض الصحابة ﷺ؛ لأن مَن أغاظه الله بالصحابة، فقد وُجد في حقه موجِب ذاك، وهو الكفر... وعد الله الذين آمنوا منهم بالله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلاً لا ينقطع، وهو الجنة. ووعد الله حق مصدَّق لا يُخْلَف، وكل مَن اقتفى أثر الصحابة ﷺ فهو في حكمهم في استحقاق المغفرة والأجر العظيم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم.

إذن نحن في حاجة إلى تلقيح الإيمان؛ فماذا أعددت أنت في محبة رسول الله ﷺ؟ أنت في حاجة إلى تأكيد هذه المحبة بحسن اتباعه ﷺ، وأنت في حاجة إلى أن يستعملك الله في طاعته؛ كي تنال محبة الله ورسوله ﷺ، وأنت في حاجة إلى كثرة السجود والخشوع فيه؛ ليكون بابًا لك إلى مرافقة النبي ﷺ في الجنة.

*اللَّهُمَّ عَافِنَا فِي أَبْدَانِنَا، اللَّهُمَّ عَافِنَا فِي أَسْمَاعِنَا، اللَّهُمَّ عَافِنَا فِي أَبْصَارِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ نَرْجُو، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، اللَّهُمَّ الْطُفْ بِنَا فِي قَدَرِكَ، حَتَّى لَا نُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، يَا رَبِّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَاجْعَلْ لَنَا مَعَ العُسْرِ يُسْرًا، وَاجْعَل لَنَا مَعَ الصَّبْرِ نَصْرًا، الْطُفْ بِنَا فِيمَا جَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ، إِنَّكَ يَا مَوْلَانَا عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ، فَرِّجِ الكُرُوبَ، وَاسْتُرِ العُيُوبَ، وَاغْفِرِ الذُّنُوبَ، يَا عَلَّامَ الغُيُوبِ يَا رَبِّ لَا تَدَعْ فِينَا خَائِفًا إِلَّا أَمَّنْتَهُ، وَلَا مَدِينًا إِلَّا قَضَيْتَ دَيْنَهُ، وَلَا غَائِبًا عَنْ أَهْلِهِ إِلَّا رَدَدْتَهُ سَالِمًا رَاشِدًا.*

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.